

يعدّ حقّ الحياة – في نظر الإسلام – أهمّ حقوق الإنسان بعد حقّ الحرية. برهان ذلك قول الله عزوجل في سورة البقرة: ﴿والفتنة أشدّ من القتل﴾ (الآية 191)، وأن الله جل جلاله قد أسرج ملائكته لهذا المخلوق الحر، ولكن حقّ الحياة يتبع حقّ الحرية مباشرة – في نظر الإسلام – فقد كتب الله على نبي إسرائيل وغيربني إسرائيل أنه ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً؛ والإحياء والقتل – في ظني – غير مقصورين على الإحياء المادي والقتل المادي، وإنما يشملان الإحياء المعنوي والقتل المعنوي أيضاً وواضح أن المقصود بالإحياء في الآية الكريمة هو المحافظة على الحياة، فنحن نعني حق المحافظة على الحياة، فكلّ حقّ من هذه الحقوق يتطلّب من الإنسان أن يسعى إلى الحصول عليه والحفاظ عليه في وقت معاً، ألم تر كيف تحدث الله عزوجل عن أولئك الذين تخلوا عن حقّ الحرية طوعاً أو كرها؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ أَنفُسُهُمْ، قَالُوا: فَيْمَا كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ!﴾ (النساء: 97)، إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كثِيرًا وَسَعْةً﴾.

وقل مثل ذلك في الذين يتخلون عن حقّ الحياة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ! إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾. ومن يفعل ذلك عدواً وظلماً فسوف نصليه ناراً؛ من أجل ذلك نجد في حديث النبي ﷺ ذلك النص الفريد الذي لا نجد له في أي كلام آخر سوى كلام المعموم ﷺ وهو قوله في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمرو: «إِن لجسده عليك حقاً». وإذا كان الناس قد توصلوا بعد أربعة عشر قرناً من تقرير الإسلام لحقوق الإنسان، إلى إصدار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فإنهم لم يتوصّلوا بعد إلى إعلام «حق الجسد»، ولو كان منها حقّ الله عزوجل . كما أنها شرط لازم لقيام شريعة الله في الأرض، لأنّ هذه الشريعة إنما ينهض بها حقّ نهوضها الأحياء الأصحاء، «فنظم الدين بالمعرفة والعبادة – كما قال الإمام الغزالى في «الاقتصاد في الاعتقاد» – لا يتوصّل إليه إلا بصحة البدن وبقاء الحياة». من أجل ذلك جعل الإسلام الصحة في المقام الأول بعد الإيمان، فقال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي بكر: «لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدِ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمَعَافَةِ»؛ وقال – في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبيه: «لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدِ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمَعَافَةِ»؛ وإنما ينهض بها والحاكم وأحمد عن معاذ بن خبيب عن أبيه عن عمّه: «إِنَّه لَا يَأْسَ بِالْغَنِيِّ لِمَنْ اتَّقَى، وَقَالَ – في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن عبد الله بن محسن الأنباري عن أبيه: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مَعَاافِي فِي جَسَدِهِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ (في الحديث الذي رواه الترمذى وابن حبان والحاكم وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي): «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَحْاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: أَلَمْ أَصْحَّ لَكَ جَسْمَكَ؟»؛ ويقول – في الحديث الذي رواه الترمذى عن أبي برزة الأسلمى، والإسلام يلفت نظر الإنسان إلى هذه النعمة، وينبهه إلى أن كثيراً من الناس يخسرون الخسران المبين لفلة اكتراهم بها والاستفادة المثلث منها، فيقول النبي ﷺ – في ما ورأه البخارى وغيره عن ابن عباس: «نَعْمَتَانِ مَغْبُونِ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»، ومن أجل ذلك يحضره على اغتنامها والتتمتع بها، فيقول رسول الله ﷺ – في ما رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وحقّ الصحة أو قل: حقّ المحافظة على الصحة يستمد أبعاده من أمرین فطريین في خلق الإنسان وخلق الكون كله. أول هذین الأمرين مذکور في قوله تعالى في سورة الرحمن (7-9): وتنبه إلى أن أي إخلال به، يمكن أن يفضي إلى أوخم العواقب التي ترتدّ على الإنسان نفسه قبل كل شيء، كما قال سبحانه في سورة يونس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾ (آل عمران: 23). أما الأمر الثاني فهو أن الأصل في خلقة الإنسان هو «السواء»، كما يدل على ذلك قوله تعالى مخاطباً الإنسان:

﴿خَلَقَنِي فَسُوكَ فَعَدْلَكَ﴾ (الانتظار: 7)، لأن «الشرع موضوع لجلب مصالح العباد ودرء مفاسده» – كما يقول العالم العامل المجاهد الفذ عز الدين بن عبد السلام في كتابه النفيس «قواعد الإحكام في مصالح الأنام»، فتأمل وصيته بعد ندائها، أو جمعاً بين الحث والزجر. وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حتّى على اجتناب المفاسد، وقد صدق رحمه الله وأحسن إليه، فإن الله سبحانه قال لنا في سورة الرعد (17): ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ: فَأَمَّا الزَّبْدُ فَيَذْهَبُ جَفَاءً﴾. فجعل سبحانه ما ينفع الناس هو الحقّ الذي أرسل به رسوله ﷺ وقال عنه: يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم (النساء: 170). بل سائر الملل – كما يقول الإمام الشاطبي في «المواقفات» – على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، ونحن واجدون إن شاء الله بعد قليل تأمل، والمحافظة على الميزان الصحي الذي أودعه الله في بنيانه. فهو حقّ على النفس، وحقّ على المجتمع، هو أولاً حقّ على المرء تجاه نفسه، وهو – كما أسلفنا – ملمح يتفرد به الإسلام، ويلخصه قول النبي ﷺ الذي رواه البخاري عن وهب بن عبد الله: «إِن لَنفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًا». وحفظ الصحة «يكون بأمررين – إذا اتبعنا تصنيف الإمام الشاطبي في «المواقفات» (2/8) – أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وهذا التصنيف البديع الذي وضعه الإمام الشاطبي رحمه الله للضروريات جميعاً، ينطبق أفضل انتطاق على الهدى الإسلامي في حفظ الصحة. فهذا الهدى الكريم يتضمن نوعين من التدابير: تدابير تقييم أركان الصحة الجسمية أو النفسية أو البيئية وتثبت قواعدها، وتدابير تدرأ عن الصحة الجسمية أو النفسية أو

البيبة الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وتشتمل التدابير التعزيزية على كل ما يحافظ على صحة الإنسان، والامتناع عن الغذاء الطيب بلا مسوغ مشروع أمر مناف للصحة، فاعتبر ذلك عدواًنا على حق الصحة كما ترى! الملبية لجزء من حق الإنسان على نفسه في الصحة، «حق الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام: يغسل رأسه وجسده» (متفق عليه عن أبي هريرة). **إذا قمت إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» (رواه ابن ماجه عن ثوبان). «**أسبغوا الوضوء**» (رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو). «كان **إذا** توضأ يدلّك أصابع رجليه بخنصره» (رواه أبو داود عن المستورد بن شداد). «صح أن النبي **مسح** أذنيه، وخالف إيهاميه إلى ظاهر أذنيه فمسح ظاهرهما وباطنهما» (رواه ابن ماجه عن ابن عباس). «إذا توضأ أحدكم فليستنشق بمنخريه من الماء ثم ليتثثر» (رواه مسلم عن أبي هريرة). «من كان له شعر فليكرمه» (رواه أبو داود). «إذا تغوط أحدكم فليتمسح ثلث مرات» (رواه ابن حزم في المحلى من طريق ابن أخي الزخرجي (محمد بن عبد الله بن مسلم مسنداً). «**مُنْ أَزْوَاجْكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيْبُوا بِالْمَاءِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَفْعُلُهُ**» (رواه الترمذى عن عائشة) «**نَظَفُوا لِثَاتِكُمْ مِنَ الْمَاءِ وَتَسْتَنِّوا (تسوّكوا)**» (رواه الحكيم الترمذى في نوادر الأصول عن عبد الله بن بشر المازنى). **وقص الشارب**» (متفق عليه عن أبي هريرة). • ومن ذلك التغذية المتوازنة كما وكيفاً: **وَالأنعام خلقها: لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون**» (النحل: 14). **كُلُوا مِنْ ثُمَرَةٍ إِذَا أَثْمَرَ**» (الأنعام: 141). «**مَا مَلَأَ آدَمِي وَعَاءَ شَرَّاً مِنْ بَطْنٍ!** بحسب ابن آدم لقيمات يقمون صلبها، فإن غلت الآدمي نفسه فثلاث للطعام وثلاث للشراب وثلاث للنفس» (رواه الترمذى وغيره عن المقدام بن معدي كرب). **خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة**» (الروم: 21). فمن لم يعمل بسنти فليس مني» (رواه ابن ماجه عن عائشة). «نهى رسول الله **عن التبّل** (وهو ترك الزواج)» (رواه النسائي عن عائشة وسمرة بن جندب). وتقوية الجسم بالرياضات المناسبة، والقيام بكل ما يجلب النفع للإنسان: «إن لعينيك عليك حقا» (متفق عليه عن عبد الله بن عمرو). «عليكم بما طيقون» (متفق عليه عن عائشة) فتنطلق من قوله عز وجل: **وَلَا تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ** (النساء: 29)، قوله جل شأنه: **وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ** (البقرة: 195)، قوله النبي **لَا ضَرَرَ وَلَا ضَرَارَ**» (رواه الدارقطني عن أبي سعيد الخدري وقال عنه الحكم: صحيح على شرط مسلم) (والضرر: الإضرار بالنفس، وهو - كما ترى - محظى القرآن. لأن التوفيق يكفل الوقاية. وفي القرآن والسنة نصوص كثيرة تتحدث عن مختلف أنماط وقاية الإنسان لنفسه، **وَلَا تقربوا الزنى، وَلَا تقربوا الفراش ما ظهر منها وما بطن**» (الأنعام: 151). «**إِنَّ أَخْوَافَ مَا أَخَافَ عَلَى أَمْتِي عَمَلَ قَوْمَ لَوْطَ**» (رواه ابن ماجه والبيهقي عن جابر). • اجتناب التعرض للإصابات: «إذا عرستم (أي نزلتم للنوم بالليل في سفر) فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل» (رواه مسلم عن أبي هريرة). وخمروا (أي غطوا) الطعام والشراب» (رواه البخاري عن جابر). • اجتناب المواد الضارة كالمسكرات والمخدّرات والتدخين: **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**» (المائدة: 90). وما أسكر كثيره حرم قليله، **** هذا ما كان من أمر حق الإنسان في الصحة على النفس. أما حق الإنسان في الصحة على المجتمع فهو كذلك حق تعزيزي وحق وقائي. وله أشكال كثيرة. قوله سبحانه: **وَفَصَالَهُ فِي عَامِينِ**» (القمان: 14). وله عليهما كذلك حق تزويده بالمناعة الكافية اللازمة لوقايته من الأمراض المعدية، وذلك بتطعيمه باللقالحات المناسبة. وعدم التفريط في حقهم، فـ **فَآتَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**» (متفق عليه عن عبد الله بن عمرو) وقوله **كَلَّا:** «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي بَيْتِهِ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رِعْيَتِهِ، وَالْتَّفِرِيطُ فِي حَقِّ الْوَلَدِ تَفِرِيطًا قَدْ يَفْقَدُهُ حَيَاتَهُ أَمْرٌ خَطِيرٌ، يَقُولُ عَنْ رِبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ:** **قَدْ خَسَرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**» (الأنعام: 140)، وثانيهما زيادة رصيدها من العناصر التي تحافظ على موازينها. ويقول: «**إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدْقَةٌ**» (رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي ذر). وكان **يَقُولُ:** «**نَظَفُوا أَنْفُسَكُمْ**» (رواه الترمذى عن عامر بن سعد عن أبيه). وفي مقابل ذلك حرص النبي **على تشجيع الزراعة، وبيد أحدكم فسيلة،** وقال **لَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا وَلَا يَزْرِعُ زَرْعًا فِي أَكْلِ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدْقَةٌ**» (رواه مسلم عن جابر); وقال: «**مَنْ زَرَعَ زَرْعًا أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فَلَهُ أَجْرٌ مَا أَصَابَتْ مِنْهُ الْعَوْافِي**» (رواه يحيى بن آدم في كتاب الخراج عن أبي أنسيد): وقال: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مِيتَةً فَلَهُ أَجْرٌ فِيهَا، وَقَدْ اتَّبَعَ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُونَ هَذَا الْهَدِيُ الْمَبَارِكُ.** وروى يحيى بن آدم في كتاب «الخرجاج» (46) كذلك، عن أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْيُنُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، مَعْمَرٌ غَيْرُ مُخْرِبٍ**» (الخرجاج: 63). فإن لم يزرعها أحد فامنحها، فإن لم يزرع فأنفق عليها من بيت مال المسلمين» (الخرجاج: 62). وأما الحق الوقائي على المجتمع فيتلخص في منع «الضرار» وهو الإضرار بالغير، وقوله **تَكُفُّ شَرُّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدْقَةً مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**» (متفق عليه عن أبي ذر). فيعرض نفسه إلى أسباب المرض والهلاك، وفي الأماكن العامة جار، والجار

في داخل البيت جار ذو قربى. بل هي إساءة محبة وإضرار محب. أن يتذمروا جميع الاحتياطات الكفيلة بوقايتها من كل أذى أو ضرر، أن يصيّب أحداً من المسلمين منها بشيء» (متفق عليه عن أبي موسى). كذلك عَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَقِّ الْإِنْسَانِ عَلَى كُلِّ فَرِدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمُجَمَّعِ، فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ نَصٍّ خَاصٍ، إِذَا قَالَ صَنَاعُ الْمُعْرِضِ عَلَى الْمُصْحَّ «متفق عليه عن أبي هريرة»، وقد جاء النهي عن تلویث البيئة بتصريح النص على وجه الخصوص. وكان من هديه ﷺ أنه قال: «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد» (رواه ابن ماجه عن أبي هريرة)، وقارعة الطريق، وما يلفت النظر في هذه الأحاديث استعمال لفظة «اللعنة» ومشتقاتها، واللعنة: الطرد والنبذ والإبعاد، مما يدل على أن فاعل هذه الأفعال التي تلوث البيئة يسقط اعتباره الاجتماعي، التدبير الوقائي الأول إذن في مجال البيئة، فلا يجوز بل يحرم تلوينها مثلاً بدخان السجائر الذي أصبح ضرره اليوم عين اليقين؛ أو يطلق أدخنه مصنوعه دون تصفية أو ترشيح فيلوث جو المدينة وهواءها الذي يتفسّه الناس؛ فيقول: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرِّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الأعراف: 205)؛ وكلها من المواد التي تستنثب الأوزون من الطبقات الجوية العليا من جهة،

فتعرّض سكان العالم إلى الآثار المضرة للأشعة فوق البنفسجية، ولكنها تساعد - في الوقت نفسه - على توليد الأوزون في الطبقات الجوية الدنيا فتزيد من هجمات الرياح، فهو عدم استنفاد العناصر الضرورية للحفاظ على سلامتها. حتى في التنظيف والتطهير. وضرب بنفسه المثل لذلك، فقد كان رسول الله ﷺ يغسل الصاع ويتوضاً بالمد (رواه أبو داود وأبي ماجه عن جابر) وعائشة؛ والترمذى وأبي ماجه عن سفينة والمد: أقل من نصف لتر، والصاع أقل من لترتين اثنين. وقال: يبلغه الله إنساناً أو دابة وأشباهه ينفعهم الله عنه». فمن زاد على هذا فقد أساء أو تعدى أو ظلم» (رواه ابن ماجة والنمسائي؛ وروى مثله أبو داود عن عبد الله بن عمرو). ومن الأمثلة المهمة الأخرى على استبقاء ما يحفظ البيئة الصحية: الحفاظ على الثروة النباتية والحيوانية. فقد قال النبي ﷺ: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» (رواه أبو داود عن عبد الله بن حبشي). وقد كان النبي ﷺ أول من أنشأ محميات بيئية لا يجوز قطع شجرها ولا قتل حيوانها. فقد «حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريداً بريداً: لا يخبط (ينزع) شجره ولا يعضد (يقطع) إلا ما يساق به الجمل» (رواه أبو داود عن عدي بن زيد) وكان ﷺ «ينهى أن يقطع من شجر المدينة شيء» (رواه أبو داود) وقال عن المدينة: «لا ينفر صيدها. ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلّف رجل بغيره» (رواه أبو داود) وقال: «إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عصاها» (رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص) (والعصا: الشجر)؛ وقال عن واد بالطائف: «إن صيد وجْ وعضافه حرام» (رواه الإمام أحمد وأبو داود عن الزبيبي). وقال الإمام أبو يوسف في كتاب «الخارج» (104): حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه عن النبي ﷺ أنه حرّم عصافير المدينة وما حولها اثنى عشر ميلاً وحرّم الصيد فيها أربعة أميال حولها. وقد تغلّلت هذه المعاني في أفهام المسلمين أيمًا تغلّل. يقول الإمام أبي محمد ابن حزم في المحل: «والإحسان إلى الحيوان بر ونقوى». برهان ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلََّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيَهْلِكَ الْحَرَثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة: 205). من علّف أو رعي، **** فينطلق من المبادئ التالية التي تعتمد عليها الدولة الإسلامية: (1) الإنسان مكرم؛ ﴿وَلَقَدْ كَرَمْنَا بْنَيْ آدَمَ﴾ (الإسراء: 70).

2) الشريعة وضفت للمحافظة على الضروريات الخمس: وهي الدين والنفس والنسل والمال والعقل». (3) الحياة حق لكل إنسان، يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: 32). والاعتداء على حياة أي نفس بشرية، ولو كانت جينياً أو شيخاً أو معوقاً . عدوان على البشر جمِيعاً: ﴿مِنْ قَتْلِ نَفْسٍ﴾ . بغير نفس أو فساد في الأرض - فكأنما قتل الناس جمِيعاً (المائدة: 32). فالحسن هو الجيد، وهذه الجودة مطلوبة في كل شيء . كل شيء . فالنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (رواه أحمد ومسلم عن شداد بن أوس). ولكن كلمة الإحسان تتضمن أيضاً تلك اللمسة الرفيعة الحانية التي افتقدناها أو كدنا نفتقدناها في ممارسة الطب الحديث . تتضمن نفسيّة العطاء حيث يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه بل ويؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة. ويتضمن الإحسان كذلك صحوة الضمير ومراقبة الله عز وجل في كل تصرف وسلوك كما يقول النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله لأنك تراه» (رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة). وقد تم تطبيق هذه القيم في مجال حق الإنسان في الصحة منذ صدر هذه الحضارة التي ننتهي إليها ونعتز بها. و كان للطفل - أي طفل - حق الرعاية على الدولة؛ كذلك ورد في «طبقات» ابن سعد: «أن عمر رضي الله عنه كان يفرض للمنفوس (الوليد) مئة درهم، وفرض له رزقاً يأخذه وليه كل شهر بما يصلحه، وكان يوصي بهم خيراً ويجعل نفقتهم ورضاهم من بيت المال». كما ورد في عقد الذمة بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين أهل الحيرة: «وجعلت لهم: أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه: (1) طرحت جزيته (يعني أعفي من الضرائب)، ويتحقق من هذه الأمثلة أن الدولة

الإسلامية تعتبر حقَّ الصحة هذا حقاً «لِلإِنْسَان»، دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين، وأن رعاية الدولة الإسلامية للإنسان تبدأ منذ الولادة بتأمين الرضاع الصحي، فالناس جميعاً، من حقهم على الدولة الإسلامية أن تتساوى فرصهم في الحصول على الرعاية الصحية، وهذا هو لبُّ الشعار أو المفهوم الذي تدعو إليه – بعد أربعة عشر قرناً – منظمة الصحة العالمية بعنوان «توفير الصحة للجميع». ويطيب لي أن أختتم ببعض الحقوق الصحية التي أخذت تبرز اليوم وتستعلن، في مواكبة التقدم العلمي الحديث السير، وفي مواكبة التطور الذي طرأ على أفهام الناس، وقد اختلفت آراء فقهاء المسلمين في هذا الموضوع، فكلهم متفقون على أن الجنين نفس، وعلى أن من أحياها فكانما أحيا الناس جميعاً، على أن الإمام الغزالي رحمه الله كان صاحب بصيرة نافذة، ويقع الشيء (البويضة الملقة بتعبير اليوم) في المحل (مكان علوتها في الرحم)، وإنasad ذلك جنayah، وتبلغ غاية التفاحش بعد الانفصال حيًّا بالميلاد، وهو ما كانت تقرفه عرب الجاهلية من وأد البنات». ومنها أن التسبب في إسقاط الجنين ولو عن غير قصد يستوجب عقوبة مالية اسمها الغرفة وهي نوع من الدية. ومن هذه الحقوق حق الزوج والزوجة في الإنجاب. والسعى لذلك بالوسائل الطبية مشروع ما دام في نطاق المسموح الشرعي، أي أن يكون بمني الزوج وبويضة الزوجة في حال قيام الزوجية. وزرع قرنية العين، وزرع غير ذلك مما يمكن زرعه من الأعضاء. وعلى الدولة المسلمة وضع الضوابط التي تنظم ذلك بما يكفل الالتزام بالهدي الإسلامي. والتبرع بالدم أو الكلية أو غيرهما إنما يؤدى فرض كفاية نيابة عن المجتمع كله. فقد قضى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه إذا مات إنسان جوحاً في جماعة، فإن على هذه الجماعة الدية، كما لو كان أفرادها قد شاركوا في قتله. إن كان ذلك لا يضر بالمانح. والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: «ترى المؤمنين في تواردهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد: إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسم بالحمى والسهر» (متفق عليه عن النعمان بن بشير): وقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسلمه»، ففي نقل الدم إلى المنزوف أو زرع الكلية لمريض تلقت كلية تلقاء لا يقبل الإصلاح، أحياء مادي، وكلاهما يندرج تحت عنوان الإحياء الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية الكريمة. والحديث عن هذه الأنواع من الحقوق التي تستجد يوماً بعد يوم، يطول. ويكفي أن نلتزم فيها بالأيات والأحاديث التي أسلفنا ذكرها،